

المجلد: 08 / العدد 01 جوان (2024)، ص.ص 183-192

بنية المكان ودلالته في الخطاب الروائي الجزائري

قراءة في نماذج روائية جزائرية

The structure of the setting in the Algerian novelist discourse; A reading of Algerian novelist models

شريط راجح

cheritrabeh82@gmail.com

جامعة ابن خلدون تيارت

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/12/02

تاريخ القبول: 2024/09/24

تاريخ الاستلام: 2024/07/03

ملخص:

يعد المكان من العناصر المكونة للخطاب السردية، فهو لا يقل أهمية عن باقي المشكلات السردية الأخرى كالحدث والشخصية والزمن، إلا أن الباحثين والنقاد لم يولوا له أهمية كبيرة، إذا أضحت الدراسات حوله قليلة وقليلة جدا، الأمر الذي دفعني إلى محاولة البحث في هذا العنصر السردية لإثبات أهميته وقيمته في العمل الروائي، فلا يمكن وجود أحداث ولا شخصيات بمعزل عن وجود المكان سواء كان هذا المكان مكانا جغرافيا حقيقيا أو فضاء متخيلا، وسأحاول في هذه الورقة البحثية تفتي أثر المكان في بعض النصوص الروائية الجزائرية وكشف أبعاده، ومعرفة أنواع الممكنة داخل بعض المتون السردية الروائية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السردية، المكان، المكان الجغرافي، المكان المتخيل، دلالة المكان.

Abstract:

Place is a crucial element of narrative discourse, no less important than other narrative components such as plot, character, and time. However, researchers and critics have not given it much attention, as studies on it are scarce. This prompted me to investigate this narrative element to prove its significance and value in the novel. Events and characters cannot exist in isolation from place, whether it is a real geographical location or an imagined space. In this research paper, I will attempt to trace the impact of place in some Algerian narrative texts, reveal its dimensions, and identify the types of places within some narrative novelistic texts.

Keywords: Narrative discourse, place, geographical place, imagined place, significance of place.

مقدمة:

يكثسي المكان أهمية بالغة باعتباره أحد المكونات السردية الهامة في تشكيل المتن الروائي، فهو خاصية روائية مهمة رغم أن الدراسات حوله كانت شحيحة مقارنة بباقي العناصر السردية الأخرى، فقد استحوذت الدراسة على عنصر الشخصية والزمن.

حاول المكان أن يلفت نظر الباحثين باعتباره عنصرا فعالا في الرواية ففيه تتواجد الشخصيات وتقع الأحداث وتسير الأزمنة فـ" الرواية في المقام الأول فنا زمنيا يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته ويخضع للمقاييس مثل الإيقاع ودرجة السرعة فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحت في تشكيلها للمكان ... فالزمن والمكان عنصران متلازمان لا ينفصلان إذا لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر وأطلق على هذه المتلازمة بـ "الزمان الروائي". وهذا ما أدى إلى طرح عدة تساؤلات: عن مفهوم المكان وما هي أشكاله؟ وأيضا ما دلالة وابعاده؟ وكيف وظف المكان في روايتي مذبذبون لون دهم في كفي والبيت الأندلسي؟ ولأن هذا المكون الذي لا يتواجد إلا بتواجد اللغة لا يمكن أن يتظاهر إلا مصحوبا بأبعاده الخارجية (الواقعية) تطلب البحث عن دلالة اللغوية.

1/ المكان لغة:

ورد في لسان العرب تحت جذر (مكن): "والمكان الموضع، والجمع أمكنة كفضال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان، فعلا، لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك، واقعد مكانك فقد دل على أنه مصدر من كان أو موضع منه"¹.

أما المستوى الدلالي للمكان فيذهب إلى أن " المكان: الموضع والمكانة، والمكانة المنزلة عند الملك والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير وقد مكن مكانه فهو مكين"².

كما أن هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع وبدلالات مختلفة منها قوله عز وجل: "﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَائًا شَرْفِيًّا﴾"³ أي أنها اتخذت لنفسها مكان نحو الشرق بهذا تذهب دلالة المكان إلى الجغرافية، وفي قوله تعالى "﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾"⁴، أي المنزلة الرفيعة.

2 / اصطلاحا:

يذهب المكان إلى مترادفات عديدة تستعمل للدلالة عليه منها: الفضاء، المحل، الحيز، الموقع، المجال، الفراغ، الملاء، البيئة، البقعة... وما إلى ذلك من ألفاظ المتقاربة المعنى، وكثيرا ما يتداخل مصطلحي الفضاء والحيز لذا وجب علينا أن نتوقف عند هذين المصطلحين:

2_1 الفضاء:

يعتبر هذا المصطلح حديث العهد إذ لم تكتمل النظرية المتعلقة به بيد أننا نجد آراء متفرقة واجتهادات لبعض من النقاد يمكن لها أن تساهم في بناء تصور كامل للفضاء إن اجتمعت، فجار جنيت مثلا يرى أن الفضاء يتعدى بكثير من أن يكون مجرد الإشارة إلى مكان ما " فهو يخلق نظاما داخل النص مهما بدا في الغالب كأنه ارتباطا وثيقا بالآثار الشخصية..."⁵

ويمكن تقسيم الفضاء إلى أربعة أشكال:

- **الفضاء الجغرافي:** وهو الذي يقابل مفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته، إنه الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات.
- **فضاء النص:** هو مكاني كذلك ولكنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة باعتبار الرواية أحرف مطبوعة.
- **الفضاء الدلالي:** يمثل الصورة التي تخلقها اللغة.
- **الفضاء كمنظور:** طريقة الكاتب في سرد الأحداث وتوظيف الشخصيات مثلما في المسرح"⁶.

فالفضاء كمكون من مكونات السرد يتعدى كونه يمثل المكان بمعناه البسيط الذي وصلت إليه الدراسات السابقة ومنه نجد أن الفضاء يتميز بالاتساع والشمولية فهو " يتسع ليشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة ولوجّهات نظر الشخصيات فيها "7.

وقد أكد "حميد لحميداني" هذه النظرية الشمولية للفضاء إذ أنه -وكما ذكرنا- يشغل كل المساحة الموجودة في الرواية من المنظور الجغرافي ومساحة الأحرف في النص إلى الفضاء الدلالي بهذا يتخطى مفهوم المكان الضيق، غير أن حسن البحراوي كان يزواج بين الفضاء والمكان باعتبار أن المكان يتشكل من خلال اللغة بقوله " .. إن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز.. "8.

وبهذا نخلص إلى أن الفضاء يحوي أنحاء الرواية والعناصر التي تدخل في بناءها بيد أنه يأتي مقابلا للمكان في شكله الجغرافي لذا يكون أوسع منه.

2_2 الحيز:

كان الحيز أن يحظى بنفس الخاصية لتقاربه مع مفهوم المكان الروائي، وحين تحدث هذه المقاربات في المصطلحات عادة ما نجد الاختلاف بين الباحثين في تحديد دقيق لهم.

يرتبط الحيز بمصطلح الجغرافيا المكانية، أي ما يجعله في حدوده الأرضية داخل النص الروائي، وإذا ما نظرنا للمكان بمنظور جغرافي ضيق يمكننا أن نصل إلى أن الحيز لمفهومه الواسع قد تجاوز هذه النظرة " فإذا كان للمكان حدود تحده ونهاية ينتهي إليها ، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء ... ولا يجوز لأي عمل سري أن يضطرب بمعزل عن الحيز ... "9.

وقد اعتبر الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض أن الحيز يحوي مظهرين، المظهر الأول الجغرافي الذي يقابل المكان مثله مثل الفضاء والثاني المظهر الخلفي أو غير المباشر كالتعبير عن المكان بعيدا عن لفظته التقليدية لدلالات لغوية مختلفة مثل : خرج ، أبحر ، ركب الطائرة ، مَرَّ بجمل ... هذه الصياغات تشير للمكان بعيدا عما ألفه في معنى تقليدي الذي يذهب بوصف تضاريسه الحقيقية ، أما مراد عبد الرحمان مبروك قد حصر مفهوم الحيز في كونه " تضاريس مكانية محدودة ... سواء كانت حقيقة أو مجازية ، سواء كانت واقعية أو فنية "10.

بالرغم من أن الحيز والفضاء بمعناها الحديث والشمولي كما حدده الباحثون يختلف من ناقد إلى آخر، إلا أن دلالتها جوهرية لا ترمي بعيدا إلا إلى المكان حتى وإن كان في حدوده منتبّهة أو غير منتبّهة يبقى المكان مكانا بتفاصيله الجغرافية أو الخرافية أو خيالية .

2_3 المكان:

يذهب المكان في مفهومه العام إلى الموضع الذي يحتل مساحة معينة، فغاستون باشلار (Gaston Bachelard) يجعل منه أكبر من كونه حيزا إذ يكون على حسب قوله: " مكان حقيقي بكل ما للكلمة من معنى "11

يرتبط المكان بالشخصيات والزمن والأحداث ويؤثر فيها مثلما تؤثر هي فيه، فهو بعيد عن الأدب والإبداع يذهب إلى الانتماء وحتى الوطنية فـ" قد يثير إحساسا بالمواطنة وإحساسا آخر بالحمية، حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء دونه "12، مما يجعل له الإمكانية في التعدد بالنسبة للمعاني والدلالات التي يخرج إليها.

وقد لخص باشلار هذا في قوله: " إن المكان الذي يجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا ذو أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما للخيال من تحيز أننا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود في حدود تتسم بالحماية "13

فالمكان يتجسد بواقعيته الروائية والخيالية الإبداعية اللغوية، وبالرغم من ظهور مصطلحات موازية للمكان إلا أنه الأكثر تداولاً في العمل النقدي بالخصوص النقد العربي "لاتساقه مع لغة النقد العربي "14 .

وعلى العموم يبقى عنصر المكان مرتبط بكل العناصر الأخرى في معناه الضيق أو الواسع فبدونه لا يحقق العمل الروائي الاكتمال لا نقول الكمالية فكل عمل تعييه نواقص إلا أن المكان يحدد معالم وقوع الأحداث وإلى أين تصبو وتتحرك الشخصيات على طول مسار السرد.

3/ أهمية المكان الروائي :

إن الاختيار الجيد للأمكنة في أي عمل روائي هو الذي يساهم بشكل كبير في رسم معالم السرد، فهو الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات ويتأطر فيه الزمن وإن كان هذا في شكله الحقيقية، لكن من منظور أوسع فقد تحول إلى فضاء يحتوي جل العمل الروائي " فالمكان يكتسب أهمية من خلال معايشة البطل للأمكنة والأحياء التي تمده له بالصلة سواء من قريب أو من بعيد فيكون في المكان اللوحة النفسية التي عايشها وعاشها البطل" ¹⁵.

يقدم المكان في العمل الروائي عن طريق الوصف الدقيق الذي في أغلب الأحيان يوهم القارئ بحقيقته، فمن غير المعقول أن تتصور وقوع حدث ما دون وجوده في الإطار المكاني والزمني طبعاً، لهذا في غالب الأحيان تذهب الأعمال الروائية في الافتتاحية إلى ذكر المكان والزمان محاولة وضع القارئ في الصورة.

وكما كان الوصف دقيقاً كلما زادت واقعية العمل بالرغم من خياليته بالنسبة للمبدع وهذا إذا ما حددناه في الرواية الواقعية وإذا ما ذهبنا إلى الروايات الذهنية مثل " روايات تيار الوعي فلا يكتسب فيها المكان الموصوف أهمية لذلك فهو نادر الوجود يقتصر فيه الروائي على الإشارات الخاطفة من خلال يتأسس بالضرورة فضاء روائي تكون له أهمية بالغة لأنه يحدد لنا الإطار العام الخالي من التفاصيل ... " ¹⁶، وهذا ما وضحه من قبل أن الفضاء أوسع من أن يكون وصف جغرافي تضاريسي للأمكنة داخل العمل الأدبي ، فالمكان يساهم بخلق المعنى ولا يكون دائماً تابعاً أو سلبياً بل إنه في بعض الأحيان يتحول إلى أداة للتعبير عن موقف ما أو تقديم صورة أراد الروائي أن يقدمها .

4 / أبعاد المكان :

يمكن أن نحدد أربعة أبعاد للمكان داخل العمل الروائي على حسب ما حدده الباحث صلاح صالح في كتابه قضايا المكان الروائي في الأدب العربي المعاصر:

4-1- البعد الفيزيائي:

إذا أخذنا المكان من المنظور الفيزيائي يستحيل لنا أن نحدد هذا البعد داخل الرواية وذلك لفقدان الصلات التي تربط بين الأمكنة الحقيقية التي تبصرها العين وبين الأمكنة التي تشكلها اللغة ، ولكن إذا ما كان الروائي حذق في استعمال لغته التي تشبه في معظم الأحيان الخدع البصرية التي تمكنه من إيهام المتلقي يجعل من المكان حقيقياً، وإذا ما ربطنا التطور الحاصل في أي جنس أدبي بالحالة الاجتماعية وحتى الفنية يمكن أن نجزم أن تطور المكان داخل النص الروائي راجع بدرجة كبيرة للتطور الحاصل في السينما والمسرح وغيرها. كما يربط الناقد ميشال بوتور *Michel Butor* المكان مع عنصر الزمن يقول " لكي نستطيع درس الزمن في ديمومته علينا أن نعتبره كأنه مسافة علينا أن نجتازها ... فانتقال الشخص الطبيعي أي السفر يظهر كأنه حالة لحقل محلي ... وكل انتقال للمدى يفرض تنظيمًا جديدًا وتغييرًا في الذكريات والمشاريع " ¹⁷ وبهذا يحدد بوتور ميشال *Michel Butor* كيف للمكان أن ينتقل بانتقال الأزمنة، بيد أن هذا البعد لم يتجسد في كثير من الروايات التي اكتفى أصحابها بالبعد الجغرافي والجمالي .

4-2- البعد الهندسي :

المكان عنصر من عناصر السرد يتشكل أساساً من اللغة لا غير، حتى وإن كان من مخيلة المبدع لكن مادته الأولى هي اللغة لذا يكون قليلاً عن الضبط بالمقاييس الرياضية التي نعرفها عادة فيشكله الروائي كيفاً يشاء، بيد أن الروائي أحياناً يتخلى عن مخيلته أو يقابلها بمقاييس منطقية محاولاً فيها ضبط المساحات حتى أنه يغري القارئ ويجذب انتباهه إذ إنه يتخيل الأمكنة في أشكالها الهندسية المعروفة.

3-4- البعد الجغرافي:

هذا البعد هو الأكثر تداولاً في أي عمل روائي إذ ينحى إلى مستويين الأول المنحى الذي يصف التضاريس على طبيعتها بلا تغيير لمسمياتها الجغرافية مثل : سهل ، جبل ، هضبة .. أما المستوى الثاني الذي يعتمد فيه الروائي إلى ذكر أسماء المناطق مثلما هي في الخريطة تحت مرآة فكرية أو ما يمكن أن نطلق عليه الإدلاء بالأيديولوجيا الذي يبيده الروائي إما بلسان الشخصيات أو عن طريق الوقائع والأمكنة .

4-4- البعد الجمالي:

هذا البعد بمفهومه العام لا يختص بالمكان فقط وإنما بالعمل الإبداعي ومكوناته، فالمكان الروائي كما يقول ميشال بوتور *Michel Butor* "ليس هو المكان الطبيعي، وإنما النص الروائي هو الذي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً"¹⁸ إذا فالمكان حين يدخل نطاق العمل الإبداعي يكون خيالاً من طرف المبدع لكن بالنسبة للقارئ يكون حقيقياً .

5/ أنواع الأماكن في الرواية :

إن المكان ليس حقيقة مجردة وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تملؤه بعيداً عن كونه زخرفة فنية له وظيفة ودور أساسي في الرواية ، فهو نظام داخل النص لا مجرد ديكور خلف الشخصيات ولا مسرحاً للإحداث. وإذا ما قسمنا الأماكن في تشكيلاتها داخل رواية "مذنبون لون دهم في كفي" نخلص إلى نوعين هما:

1_5 الأماكن المفتوحة:

اتخذت الرواية الجزائرية من بعض الأماكن المفتوحة إطاراً لأحداثها، وهي أماكن تكون مفتوحة على الطبيعة عادة، فالمكان المفتوح "حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة ، يشكل فضاء رحباً وغالباً ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق"¹⁹.

يسمح المكان المفتوح أيضاً بالحرية في التواصل مع الآخرين، وبما أن الروائي يسرد الأحداث بضمير المتكلم على لسان الشخصية البطلة قد كان له الأحقية أولاً و الحرية ثانياً في نقل صفات المكان و التنقل فيه. ومن الأماكن المفتوحة التي كان لها حضور في الروايات الجزائرية نجد:

● **الشارع:** ورد بلفظته الأصلية "الشارع" في الرواية وذلك في عدة مقاطع مثل قوله: "كان الشارع موحشاً بأنوار مكبوسة .."²⁰، فهنا اتسم المكان بصفة الحزن و اليأس، فالشوارع و الأزقة و الطرقات تعبر عن الانتقال و المرور كما هو الحال في المقطع التالي : "كان ميمون تسرب بين الفضوليين المتوقفين شتاتاً على الرصيف مقابل بيت فلة ..."²¹ هنا تنتقل الشخصية إلى الشارع الذي يملأه الناس، والملاحظ في رواية مذنبون لون دهم في كفي أن الروائي لم يحدد أسماء للشوارع وحتى الأماكن التي أوردها إذ يكتفي بالإشارة إليها فقط. كقوله: "قضي عليه في الشارع نفسه..."²² .

كما أنه ذكر المقبرة التي قتل فيها الأطفال والكشفافة السبعة الذين مزقهم القنبلة في المقطع السردى الموالي: "...غرس فأس حطب في رأس كلابو فترنح بها في الشارع الرئيسي أمتار قبل أن يتهاوى ..."²³. فالروائي لا يصف بتاتا الشوارع بتفاصيل قد تساعدنا على تصور المكان بصورة أدق، فالشارع بمساحته الواسعة وتشكلاته المختلفة يعطي نوع من الحرية للسارد في تحريك الشخصيات وهذا ما يتجلى في قوله: "...وفي ركن من الشارع رأى قطاً وجرداً وكلباً بين أكياس القمامة متناثرة فشعر بالغثيان..."²⁴.

وقد سار الروائي واسيني الأعرج على نهج الحبيب السائح في روايته البيت الاندلسي في حديثه عن المقبرة باعتبارها مكان مغلق

فالمقبرة المكان الذي توضع فيه الجثث وقد تحدث الروائي واسيني الأعرج عن مقبرة المدينة والتي تسمى مقبرة **ميرامار** وهي مقبرة للمسلمين وغير المسلمين "... المقبرة الوحيدة في الدنيا التي انمحت فيها كل الأديان ، استقبلت المسيحي واليهودي والمسلم والبوذي وحتى الملحد" ²⁵

● **البلد** : ورد بلفظته الأصلية ويعبر عن انتماء البطل إذ يشكل المكان الأوسع في الرواية ذلك على حسب الفترة التي يحددها .

فقد تحدث الروائي الحبيب السائح في رواية "مذبون لون دهم في كفي" عن أحزان وآلام البلد من خلال تلك المجاز والمذامح التي اقترفتها الجماعات الإرهابية في فترة التسعينيات ، مما جعل الوطن يعيش وضعاً متأزماً بفعل العنف والتقتيل، بيد أنه لم يعط تحديداً جغرافياً باعتبار أن الشخصيات يحملون الهوية الوطنية نفسها واكتفى بالإشارة إليه رابطاً إياه بالأحداث التاريخية والاجتماعية.

كما أن الروائي كلف الشخصية البطلة بنقل هذه المأساة وأحداثها وتظهر ذلك في عديد المقاطع نذكر منها قوله : "ألم تدعو أنت أيضا ربك أن يدمر هذا البلد بزلزال أو أن يبتليه بحرب أهلية، فتعجب له نافيا: أنا! أعوذ بالله أبداً فزجر فيه : أجبن! لأننا جميعاً عاجزون عن مواجهة ذل ساستنا" ²⁶.

فهذا الحوار يجسد حالة اللااستقرار التي كانت تعيشها الجزائر في تلك الفترة. وكذلك في المقطع السردى التالي : "كان يتحدث إلي بقلبه فقد جمعني إليه محنة البلد" ²⁷ ، ففي المقطعين السالفين نجد أن المكان لم يذكر باسمه، أي لم يحدد جغرافياً، إنما اكتفى الروائي بذكره في دلالة العامة التي تعني الوطن (الجزائر).

السجن:

يعد السجن أحد الأماكن المغلقة التي يعتمد الروائي على توظيفه للدلالة على الحرية المبتورة، أو للدلالة على عنف الشخصية مما جعلها حبيسة هذا المكان المظلم

حاول واسيني الأعرج أن يبين لنا بشاعة السجن والظلم والقهر الممارس فيه من طرف أعوانه وذلك على لسان غاليلو " ...وكان مجرد ذكر اسم هذا الديوان يثير الرعب والفرع من الأساليب الوحشية التي كانت تتبعها محاكم التفتيش.

● **الساحة**: تصنف في خانة الأماكن المفتوحة لاتساعها وافتتاحها ووجود الحركة الدائمة مما يسمح للشخصيات والإحداث بالتناوب والحضور والغياب وهذا ما جسده الرواية في عدة مقاطع وفصول إذ أحصينا عدد ذكرها يمكنها أن تتجاوز العشرين مرة ، ونأخذ مقاطع للدلالة عن ذلك مثل: "كان هو الوجه الذي رأيته مرة في الساحة سابجا في محيط من نظرات الرجال ... ²⁸، وكذلك في قوله: "... وإذا تمددت جنبي حديثاً أتي شاهدها ذات مرة في الساحة فشعرت نحوها بشيء مبهم... ²⁹ ففي هذين المقطعين نجد أن لفظة الساحة ذكرت في كليهما لكن الحوادث والشخصيات مختلفين، أما في المقطع الموالي نجد أن الروائي قد حدد ولو بشكل بسيط المكان الذي توجد فيه الساحة " أذكر أن بوركة لم يصعد من يومها أي منصة نصبت في الساحة التي ضلت كلما غصت بالحشود والخطباء وقت الانتخابات ... ³⁰.

فالمكان هنا يسمح بظهور شخصيات جديدة كل مرة إذ أن المنصة تقع في وسط المدينة التي ينتمي إليها البطل، وما ذكرناه على سبيل المثال لا على الحصر.

● **المقبرة :** فور ذكر هذه اللفظة لا يمكن تصور ملامح ومواصفات مختلفة لهذا المكان لأن المقبرة بتشكلاتها الواقعية هي نفسها مهما اختلفت الديانات والبلدان وهي كذلك مكان مفتوح وواسع ، فالحييب السائح قد وظف هذا المكان كقوله : "... يقتلون أهلنا ثم يمنعونا أن ندفهم في مقبرة المدينة.." ³¹، إذ أنه حدد مكان المقبرة في المدينة لكن دون أن يذكر مكانها الجغرافي ، وقوله "كان رشيد تابع من طرف المقبرة بين أغصان شجرة الخروب آلة تحفر ، أتمت العملية وتراجعت مفسحة لسيارة شحن صغيرة أنزلت منها النعش .." ³² فالروائي صور لنا مراسم الدفن التي اعتادتها الناس، وهكذا كلما ذكر هذا المكان ذكرت معه نفس المواصفات وإن كانت منعدمة في التجسيد إلا أنها في مخيلة القارئ ترسم .

● **المقهى :** يعد المقهى مكان مفتوح فهو يشهد حركة انتقال الناس التي لا تهدأ بالذهاب والإياب ليكتسب في الرواية الصفة المؤقتة لتحرك الشخصيات وانتقال الأحداث ، وتظهر في المقطع السردى : " على غير العادة فان بوركبة نفسه كان هو الذي فتح قهوته منشغلا بإعداد اللوازم الأولى قبل وصول الخادم ... " ³³، فالمقهى هو مكان للتواصل والاحتكاك بالعالم الخارجي مما يسمح بحدوث وقائع وانتقال الأخبار مهما كان نوعها سياسيا اجتماعيا...، وذهب لوصف بعض من ملامح المقهى بقوله "...سحقها على المصطبة الخشبية التي جدها قبل عام بعد أخرى قديمة يوم رفعت تصاعدت رائحة النتن وظهر ما كانت تخفيه.. في المساحة الفاصلة بين المصرف وبين الثلاثة الكبيرة القديمة ذات الأبواب الخشبية ... " ³⁴ فالمقهى الذي هو ملك بوركبة كان حانة في وقت الاستعمار والروائي عمد إلى وصفه لمرام سردية جسدها في المقاطع التي تلي هذا المقطع. المقهى حظرت فيه عدة شخصيات من الساسة والضباط وحتى من كانوا في الجبال مما جعل منه المكان الأنسب لنقل وقائع سياسية واجتماعية وحتى تاريخية. قد كان للاماكن المفتوحة الحظ الأوفر في الرواية وذلك بما تسمح به من تشكيل فضاء داخل نصي والانتقال بأريحية إذ لا تفرض عليه قيود تضيق على الشخصيات الحركة.

5_2 الأماكن المغلقة:

وهي الأماكن التي تتصف بالضيق محدودة بتفاصيل هندسية مما يحد من حركة الشخصيات وترمي عادة إلى الحماية والألفة فالمكان المغلق " مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين لذا فهو المكان المؤطر بحدود هندسية " ³⁵ .

● البحر:

شكل البحر أحد المحطات التي تناولها الروائي الجزائري واسيني الأعرج في روايته " البيت الأندلسي " ضمن ما يسمى بالأمكنة المفتوحة باعتباره يحتل مساحات واسعة فقد مثل البحر الملجأ الذي يلجأ إليه " مراد " للتزهد و نسيان هموم الحياة خصوصا لما يكون برفقة " ياسيكا" مما جعل الكثير يجسدونه وهو الشيخ الطاعن في السن "... وكان الناس عندما يروننا نمشي على حافة البحر ... يتساءلون في أعماقهم كيف استطاع شيخ يأس أن يقتنص أجمل امرأة في المدينة" ³⁶

● مدينة الجزائر:

كثيرا ما كانت المدن فضاءات مفتوحة تغص بالسكان والمارة ومدينة الجزائر أحد هذه المدن التي لجأ إليها واسيني الأعرج باعتبارها مكانا مفتوحا، وكونها منارة تاريخية ومحل أطاع من طرف المستعمرين الذين تعاقبوا عليها، فنجد بعض الأحياء الشاهدة على ذلك في صورة القصبة، كما عرف من خلال شخصية " مراد باسطا " إلى الحديث

عن ذلك السخط الذي مسه سكان المحروسة، و إلى موقف الشعب الجزائري من البيت الأندلسي المتواجد في مدينة الجزائر، والتي استمدت من خلالها الروائي عنوان روايته " هذا البيت الذي تريدون بيعه، قاوم كل الغزاة وظل واقفا يقاوم اليوم قتلة من نوع جديد الورثاء الذين يريدون تنكيسه كما يفعلون مع الجمال قبل الإجماز عليها وذبحها"³⁷

● **البيت :** يعتبر من الأماكن المغلقة لأنه محدود بتفاصيل هندسية فهو الملجئ والراحة والأمان كقوله : " ..كان بوركة إذا عاد إلى بيته أنبأته خادمتها أن ابنته فوزية انتظرتة ..حتى قدم زوجها ..وألقي بنفسه في الأريكة مبديا لها سعادته..³⁸ ذكر البيت في مصطلحه العادي وذكرت معه الابنة والزوجة وهذا يدل على أن الطمأنينة تشاركها كل من هذه العناصر الثلاث .
والملاحظ أن كل المقاطع التي تم فيها استحضار البيت لم يحسد فيه الروائي وصفا هندسيا .

● **القبو :** هو المكان السري إن حسن التعبير الذي في معظم ما ذكر بخصوصه مثل الحدث الجنسي الذي كان بين أحمد وفلة، وهو مكان مغلق طبعاً ذو تفاصيل ضيقة تحد من حركة الشخصيات وتظهر ذلك في النص التالي : "لكن، هزني نزوع إلى اليوم الذي فيه أنزلت فلة إلى الطابق السفلي عبر أدراج الباب الداخلي خلال قيلولته وقلت لها أحضنها في غيب الظل أعب حرارة أنفاسها : أنت الآن في القبو ذاته الذي تره قارسيا مليئا بالمعتقات"³⁹ فالقبو يقع في أسفل منزل أحمد .

خاتمة:

وبحكم طبيعة الرواية الجزائرية، فقد شكل المكان ثنائية ضدية بين مغلق ومفتوح، إذ إن الأماكن قد جسدت بعضاً من زوايا الوطن سواء في رواية البيت الأندلسي أو رواية مذنبون لون دمهم في كفي، فقد يرسم المكان هوم وآلام وأحزان المجتمع، باعتبار أن الرواية من وحي خيال المبدع ولكن الروائي يحاول في كثير من الأحيان إحياء هذه الحوادث التي حاولت الذاكرة أن تضعهم في طي النسيان ولكن لم ولن تستطع .
هوامش البحث:

¹ ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، د ، ط ، 2016، ص 83 .

² المرجع نفسه ، ص 82 .

³ سورة مريم : الآية 16 .

⁴ سورة ق : الآية 41 .

⁵ جيرار جينت وآخرون : الفضاء الروائي ، تر : عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، لبنان ، دط ، 2002 ، ص : 27 .

⁶ ينظر حميد الحميداني : بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي ، ط 3 ، الدار البيضاء ، ط 3، 2000 ص : 64 .

⁷ سمر روجي فيصل : الرواية العربية البناء والرؤيا ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، دط ، 2003 ، 71 .

⁸ حسن البحراوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1، 1990، ص 27 .

⁹ عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد، دار المعرفة ، الكويت ، 1998، ص 125 .

¹⁰ مراد عبد الرحمان مبروك : جيولوجيا النص الأدبي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2002 ، ص 68 .

¹¹ غاستون باشلار : جاليات المكان ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2، 1984 ص 36 .

¹² ياسين ناصر : الرواية والمكان ، دار نينوي ، دمشق ، ط 2، 2010، ص 9 .

¹³ غاستون باشلار ، جاليات المكان ، ص 30 .

¹⁴ سيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار جسر للترجمة والنشر ، د ، ط ، ت ص 76 .

¹⁵ أحمد زياد محبك : متعة الرواية دراسة نقدية متنوعة ، دار المعرفة ، بيروت لبنان د ط ، (دت) ، ص 55 .

- 16 حميد حميداني : بنية النص السردي ، ص 64 .
- 17 ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان ، ط 5 ، 1995 ، ص 103 .
- 18 ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة ، ص 61 .
- 20 اوريدة عبود : المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس تائرة) ، دار الأمل للطباعة و النشر ، دط ، 2009 ، ص 51 .
- 20 الحبيب السائح : "مذنبون لون دهم في كفي" ، دار الحكمة ، ط 2008 ، 1 ، ص 14 .
- 21 المصدر نفسه ، ص 27 .
- 22 المصدر نفسه ، ص 32 .
- 23 المصدر نفسه ، ص 32 .
- 24 المصدر نفسه ، ص 50 .
- 25 - واسيني الأعرج ، البيت الأندلسي ، ص 09
- 26 المصدر نفسه ، ص 21 .
- 27 المصدر نفسه ، ص 53 .
- 28 المصدر نفسه ، ص 120 .
- 29 المصدر نفسه ، ص 121 .
- 30 المصدر نفسه ، ص 19 .
- 31 المصدر نفسه ، ص 126 .
- 32 المصدر نفسه ، ص 144 .
- 33 المصدر نفسه ، ص 19 .
- 34 المصدر نفسه ، ص 20 .
- 35 فهد حسين : المكان في الرواية البحرينية ، دار فراديس ، البحرين ، د ، ط 1 ، ت ، ص 163 .
- 36 - واسيني الأعرج ، رواية البيت الأندلسي ، منشورات الجمل ، بيروت ، بغداد ، ط 1 ، 2010 ، ص 08
- 37 - واسيني الأعرج ، البيت الأندلسي ، ص 111
- 38 الحبيب السائح : مذنبون ، ص 35 .
- 39 المصدر نفسه ، ص 79 .
- قائمة المصادر والمراجع:**
1. ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، د ، ط ، 2016 .
2. أحمد زياد محبك : متعة الرواية دراسة نقدية متنوعة ، دار المعرفة ، بيروت لبنان د ط ، (دت) .
3. اوريدة عبود : المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية (دراسة بنيوية لنفوس تائرة) ، دار الأمل للطباعة و النشر ، دط ، 2009 .
4. جيرارجينيت وآخرون : الفضاء الروائي ، تر : عبد الرحيم حزل ، افريقيا الشرق ، المغرب ، لبنان ، دط ، 2002 .
5. الحبيب السائح : "مذنبون لون دهم في كفي" ، دار الحكمة ، ط 1 ، 2008 .
6. حسن البحراوي : بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1990 .
7. حميد حميداني : بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، ط 3 ، الدار البيضاء ، ط 3 ، 2000 .
8. سمر روجي فيصل : الرواية العربية البناء والرويا ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، دط ، 2003 .
9. سيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، دار جسور للترجمة والنشر ، د ، ط 2 .
10. عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دار المعرفة ، الكويت ، 1998 .
11. غاستون باشلار : جاليات المكان ، تر : غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 2 ، 1984 .
12. فهد حسين : المكان في الرواية البحرينية ، دار فراديس ، البحرين ، د ، ط 1 ، ت .

13. مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبوليتيكا في النص الأدبي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط1 ، 2002 .
14. ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة ، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1995 .
15. واسيني الأعرج، رواية البيت الأندلسي، منشورات الجمل، بيروت، بغداد ، ط1، 2010.
16. ياسين ناصر : الرواية والمكان ، دار نينوي ، دمشق ، ط2 ، 2010.